من أسرار التعبير القرآني في حوار نبي الله يوسف مع صاحبيه في السجن

د/مصطفى أحمد حسين قنبر
وزارة التعليم والتعليم العالي
دولة قطر

الملخص

يهدف هذا البحث إلى استكشاف الدلالات التي تكمن في المفردات والتراكيب في حوار نبي الله يوسف عليه السلام مع صاحبيه في السجن. وغني عن البيان أن موضوع الحوار كما أراده الفتيان يتمحور حول تأويل الرؤيا، لكن نبي الله نقل موضوع الحوار إلى ما هو أهم وهو قضية التوحيد. وقد أراد من وراء ذلك هدفين عظيمين هما الإقناع والتأثير.

Abstract

The main aim of this research is to explore the meanings of words and expressions in the dialogue between Prophet Josef and his two fellow prisoners. It goes without saying that this dialogue, as meant by the two men, is centered on interpreting their dreams, but Josef shifts it into a more important issue, the Oneness of God. Through this, he tries to achieve two goals, persuasion and influence

المنارة للاستشارات

عُنِيَ الخطاب الرسالي القرآني في كثير من السور الكريمة بقضيتين أساسيتين:

الأولى: بيان فساد العقائد التي تخالف عقيدة التوحيد. الثانية: إثبات صحة عقيدة التوحيد وتوافقها مع الفطر السليمة.وقد سَلَك الخطاب القرآني في مواطن كثيرة مسلكًا حواريًا إقناعيًا مع الطرف الآخر، ووظَّف الطاقات التعبيرية للمفردة ومن ثم التراكيب؛ للتأثير في المتلقي، وتحقيق ما وُظِّف الحوار من أجله. ويسعى هذا البحث ـ إن شاء الله ـ إلى الكشف عن بعض أسرار التعبير القرآني في حوار نبي الله يوسف مع صاحبيه في السجن من خلال آيات سورة يوسف التي ورد فيها هذا الحوار.

ولا يخفي على من يُعنى بالتحليل اللغوي للخطاب القرآني ـ خاصة في قصص السابقين ـ النظر إليه في سياقه العام: في حده الزماني والمكاني، وأطرافه المشاركين في إنتاجه، ووسائله، ومضمونه، ومراميه الآنية والبعيدة. وحتى يمكن النظر إليه نظرة كلية أو شمولية لا ينبغي فصله عن الخطاب الرسالي الكلي في القرآن، ذلك أنَّ عِناية هذا النص المعجز بنقل المعاني والدلالات التي أرادها نبي الله يوسف عليه السلام ليست لإقناع صاحبيه في السجن فقط، وإنما هي لكل متلقٍ لآي الذكر الحكيم في كل زمان ومكان.

أسباب اختيار هذا البحث:

1ـ الوقوف على الظروف المصاحبة لحوار نبي الله مع صاحبيه في السجن.

2ـ إبراز دور الأساليب الإنشائية الموظفة في الحوار في الإقناع والتأثير.

3ـ الكشف عن الدور الدلالي للمفردات والتراكيب في هذا الحوار.

منهج البحث:

سلك الباحث في تعامله مع آيات هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

الدراسات السابقة:

لم أجد ـ حسب علمي ـ دراسة تناولت أسرار التعبير في حوار نبي الله يوسف عليه السلام مع صاحبيه في السجن، لكنَّ بعض الدراسات التي كانت السورة موضوعها عرضت لآيات هذا الحوار من عدة زوايا بحثية، افتقد بعضها للشمول والعمق. ومن هذه الدراسات:

1ـ سورة يوسف دراسة تحليلية، للدكتور أحمد نوفل:

عرَّف المؤلف في صدرها بالسورة تعريفًا عاما، ثم عرَّج على قضايا الإعجاز الفني في قصة نبي الله وما يتصل بها من عناصر البنية القصصية من زمان ومكان وشخصيات، ثم

المنارة للاستشارات

انتقل إلى بيان التناسق في السورة الكريمة، وختمت الدراسة بفصل عن الشخصيات التي صنعت الأحداث في القصة.

ولم تخلُ الدراسة من حديث عن الحوار في القصة، لكنه ـ وخاصة حوار نبي الله يوسف مع صاحبيه في السجن ـ لم يأخذ حقه من التحليل والنظر اللغوي الدلالي. اللَّهم إلا ما كان من تحليل لشخصيات الحوار، وبيان أدوارها، وتناول سريع لدلالات بعض المفردات والتراكيب.[1]

2ـ أساليب الإقناع في سورة يوسف ـ دراسة لسانية تداولية، لأحمد مزواغي:

بدأها الباحث بإطار نظري عرض فيه الاتصال وقضاياه، والإقناع واستراتيجياته، ثم جاء الجزء التطبيقي ليتناول البلاغة وأساليبها الإقناعية في سورة يوسف، ومن بينها: الحوار، ثم ما كان من توظيف لأساليب: التوكيد، والتكرار، والاستفهام، والإضمار. وختمت الدراسة بفصل عن الاستدلال والمحاججة في السورة الكريمة.

وقد خصص الباحث بعض الصفحات للحديث عن الحوار وفعاليته الإقناعية في القرآن الكريم ثم في سورة يوسف، لكنه أغفل تمامًا حوار نبي الله مع صاحبيه في السجن. غير أنه عرض لبعض الأساليب التي وردت في هذا الحوار كالتكرار والاستفهام والمقابلة دون الغوص في تحليل مكوناتها، وأغفل عند معالجته للتوكيد ما ورد منه في آيات الحوار. ثم خصص جزءًا من الفصل الأخير لمناقشة الاستدلال في الدعوة إلى الله من خلال حوار نبي الله مع صاحبيه في السجن، والأساليب التي وُظِّفت في هذا الاستدلال مع الإشارة إلى بعض المعاني الدلالية لعدد من التراكيب والمفردات.[2]

3ـ أثر عناصر الاتساق في تماسك النص في سورة يوسف، لمحمود سليمان الهواوشه:

عرضت هذه الدراسة لمفهوم الاتساق وعناصره في الجزء النظري، وجاء الجزء التطبيقي ليتناول عناصر هذا التماسك في السورة الكريمة، ومنها آيات الحوار بين نبي الله و صاحبيه في السجن مبرزا عناصر الاتساق المختلفة في تلكم الآيات، ودلالات هذه العناصر في إبراز القضايا العقدية. وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون التناول من الزاوية النصية دون غيرها.[3]

4ـ دراسات تناولت مباحث جزئية بلاغية ولغوية في سورة يوسف، ومنها:

المنارة للاستشارات

أ ـ الجملة الطلبية في"سورة يوسف" دراسة تركيبية دلالية، لعلاء الدين الغرايبة. حيث تناول أساليب: الاستفهام، والأمر، والنداء في السورة الكريمة، وعرض لما جاء منها في حوار يوسف عليه السلام مع صاحبيه، غير أنه أغفل الاستفهام الذي جاء على لسان نبي الله في خطابه لصاحبيه.(4)

ب ـ ضمير الفصل في العربية ودوره في أداء المعنى ـ سورة يوسف نموذجًا، للباحثة خلود إبراهيم العموش، ويُحمد لها أنها حللت تحليلا عميقا دلاليا وتركيبا ونصيًا الجملة التي ورد فيها هذا الضمير، وهي قوله تعالى (وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) في حوار نبي الله مع صاحبيه في السجن.(5)

آيات الدراسة:

جاء نص الحوار في سورة يوسف، من الآية(36) حتى الآية (41). قال الله تعالى:

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (36) قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (41)﴾

سورة يوسف 36ـ41

السياق المكاني للحوار:

السجن هو المكان الذي دار في جنباته هذا الحوار، وهو مكان معلوم بطبيعته الجغرافية والاجتماعية والثقافية والنفسية، قد يجمع أخلاطا شتى من الصالحين والطالحين ومن الظالمين والمظلومين، ولكلٍ قصته التي ألجأته إلى أن يقبع في هذا المكان. وفيه يحاول النزلاء التعايش

المنارة للاستشارات

مع هذه البيئة الجديدة عليهم والتي قد لا يُعرف تاريخٌ محددٌ للخروج منها؛ لذا يبحث كل منهم عمن يتوافق وطباعــه: يأنس إليه دون غيره، يتجاذبان أطراف الحديث، يبث له همومه، ويشرح له سبب وجوده في هذا المكان، ويطرح عليه رؤاه ومشاريعه المستقبلية لمرحلة ما بعد السجن، طالبًا استشارته فيما يعتمل في نفسه. ويبدأ التقارب، وتنمو هذه الألفة إذا كان النزلاء متقاربين في العمر، وخبرتهم العقابية ليست متباعدة خاصة إذا دخلوا إلى هذه البيئة في تاريخ واحد. وتزداد وتيرة هذا التقارب من الآخر إذا توسَّم أحدهما في الآخر نوعًا من التميز لصفة انطبعت بها شخصيته جعلته مناط التقدير والتوقير من الجميع؛ الأمر الذي يدفع جميع النزلاء إلى الاحتكام إليه فيما يتعاورهم من قضايا طلبًا للرأي والمشورة والتفسير لما أُستُشكل عليهم. ويزداد الأمر أهمية إذا كان المطلب متعلقًا بأمر شخصي ومستقبلي ومصيري.

ويمكن القول إن نبي الله يوسف عليه السلام هو أول مَنْ جعل مِن السجن بيئة للدعوة إلى التوحيد، على الرغم مما يتسم به السجن من طبيعة مكانية ونفسية واجتماعية وثقافية قد تصيب البعض باليأس والإحباط، لكن نبي الله عليه السلام استطاع أن يجعل منه بيئةً لمحاولات التغير والإصلاح، وليس كما يُعرف عنه أنه مكان لإنزال أو تنفيذ العقوبات بالمجرمين فقط.

طرفا الحوار:

الطرف الأول: فتيان ممن كانت لهما منزلة في قصر الملك: خباز الملك، وساقيه، وقد رُفع إلى الملك أن الخباز أراد أن يسمه، وظن أن الساقي مالأه على ذلك.

والطرف الآخر: نبي الله يوسف عليه الصلاة والسلام، ابن نبي الله يعقوب، أُدخل السجن عقوبة له لعصيانه لأمر امرأة العزيز، عرف بين النزلاء بالتقوى والصلاح وكانت صفة المحسن من أصدق الصفات الجامعة لما اتسمت به سلوكياته في هذه البيئة (السجن).[6]

وقد لجأ الفتيان إلى نبي الله يوسف؛ لأن الأمر في نظرهما خطير، الأمر يتعلق برؤيتين قــد تكشفان عن مستقبلهما وما ينتظرهما من مصير؛ مما يوجب التحري والتدقيق فيمن يكون أهلا لقص الرؤيتين عليه: أمانةً فلا يفشي ذلك لأحــد، وصدقًا فلا يكذب أو يدعي العلم فيما لا يعرف. فهما لم يلجأا إلى أي نزيل معهما، بل رأيا أن أفضل من يُحسن الاستماع إليهما ويهتم بما يعرضانه، وينبئهما بالتأويل الصحيح هو نبي الله يوسف عليه السلام؛ لذا كان جديرًا بأن تُعرض عليه الرؤيتان، وقد كفتهما (صحبة السجن) مؤونــة البحث والتحري والتدقيق عن

المنارة للاستشارات

مؤوِّل، إنه ذلك الفتى الذي يقبع معهما في هذا المكان ويعيش نفس البيئة، رجل اتصف في نظرهما بالإحسان وعالم بتأويل الأحلام.

موضوع الحوار:

طَلَبُ تأويل رؤيتي الفتيين (خباز الملك، وساقيه) من نبي الله يوسف عليه السلام، وكان قد قصده الفتيان لما عُرف به من صفات جُمِعَت في قولهم له: (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)، وكيف استثمر عليه السلام هذا الحوار في طرح القضية الأهم (قضية التوحيد) وإقامة الأدلة على فساد العقائد الأخرى ومن ثَمَّ دعوتهما إلي الدخول في العقيدة الصحيحة، وفي نهاية الحوار أجابهم إلى ما طلبوه وهو تأويل ما رأياه.

إن مسؤولية الدعوة هنا ليست بالأمر اليسير، إنها تتعلق بانتزاع عقيدة فاسدة تجذرت في نفوس هؤلاء القوم عبر سنين طويلة. فليس من السهل قبول دعوته إياهما إلى التوحيد، وترك العقيدة التي هما عليها. إذن فالتدرج هنا مطلب حيوي لتحقيق هذا الهدف. والانتقال من مرحلة لأخرى يحتاج إلى براعة في الإقناع والتأثير والاستخدام الجيد والدقيق للمفردات وصياغة التراكيب.

الدقة في انتقاء الألفاظ والتراكيب:

عبرت آيات الكتاب المعجز ـ بانتقاء مجموعة من الألفاظ والتراكيب والأساليب ـ عن المعاني التي تضمنها هذا الحوار، ونقلت الأحداث التي دارت بدقة، وما يصاحبها من دلالات استرعت اهتمام المتدبرين و الباحثين إلى مزيد من القراءات عبر العصور.ولم يكن بمقدور غيرها من الألفاظ أن تنجح في ذلك، كما لم يكن لهذه الألفاظ وتلكم التراكيب والأساليب أن تفصح عن معانيها وتنبئ عن ظلالها الدلالية إن تغيرت موقعيتها في آيات هذا النص الحكيم. وتلك من خواص النظم المعجز في كتاب الله الكريم.[7]

1ـ بداية الحوار:

بدأت الحوار بإضاءة سريعة عن طرفي الحوار والعلاقة التي تجمع بينهما فضلا عن المكان، (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ) فأحد طرفي الحوار فتيان من السجناء، والطرف الآخر هو نبي الله يوسف عليه السلام. والعلاقة بينهما صحبة جمعتهما إثر وجودهما في السجن، وهذه الصحبة لم تتولد لوجودهما في هذه البيئة فحسب بل لكونهما أيضًا ولجا إليها معًا في زمن واحد.([8]) ولذا جاء الظرف متبوعا بالضمير (مَعَهُ) معبرا بدقة عن ذلك، أما تنكير (فَتَيَانِ)

المنارة للاستشارات

والعدول بذلك عن ذكر اسميهما فالقضية موضوع الحوار لا يعنيها في شيء التصريح باسم الفتيين من عدمه، وقد وقع ذلك كثيرًا في تناول آي الكتاب الحكيم لقصص السابقين. وقد قُدِّم المفعولُ به مكانُ الحوار (السجن) على الفاعل(فتيان) لإفادة التشويق للمتأخر، وليتمكن في النفس حين وروده عليها فضل تمكن.([9])

ثم جاء التعبير عن فحوى الرؤيتين ـ وهي قضية الحوار المركزية في نظر الفتيين ـ بالجملة الاسمية المؤكدة التي صِيغ خبرها من جملة فعلية فعلها مضارع: (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) ..(إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ) ليعطي دلالة أن الرؤية عند كل منهما لازالت حاضرة وثابتة في أذهانهما كأنها بمشاهدها لازالت ماثلة أمام ناظريهما، ولأنها من الأهمية بمكان يجعل الرائي ينطلق مسرعًا بحثًا على مَنْ يعبر له هذه المشاهد، فبعض الرؤيا قد تُنسى أو يَنسى النائم جزءًا منها بعد يقظته. وفي التوكيد أيضا ما يدلل على إثبات صدقهما لنبي الله فيما يقصانه عليه. والتعبير بالجملة الفعلية (أَعْصِرُ ... أَحْمِلُ...) يدل على أن في المشهد استمرارية، لذا جاء تأويل نبي الله لهما ليس غريبًا (يَسْقِي... يُصْلَبُ... تَأْكُلُ) فمن عناصر الرؤيا يأتي التأويل.

أما الجملة الطلبية التي أعقبت هاتين الجملتين وهي قول الفتيين: (نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ) ـ وهي الباعث التي دفع الفتيين إلى الحوار مع نبي الله ـ فقد أعقبت الجملتين اللتين عبرتا عن مضمون الرؤيتين دون واسطة(حرف أو أداة) وهذا يدل على أن الأمر قد أحدث نوعًا من القلق أو الارتباك لديهما، وأصبح لا يحتمل انتظارًا. وجاء تخير الفعل (نَبِّيء) ليوحي بجسامة الأمر وعِظمه، كما يشير إلى عدم اهتدائهما إلى تفسير الرؤيتين، فقد يتمكن الرائي من تعبير رؤياه، وقد توحي له مفرداتها بما لا يحب؛ وهنا يبحث عن طرف ثانٍ يعبرها له. كما يكشف الفعل ـ أيضًا ـ عن دقة التحري والبحث عن مَن يقوم بمهمة هذا التأويل، فمهمة الإنْبَاء هذه لا يقوم بها أي شخص. يقوي هذا تخير اللفظ (تأويل) الذي يعني "رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علمًا كان أو فعلا."[(10)] " وقد كَانَ تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا مِنْ فُنُونِ عُلَمَائِهِمْ فَلِذَلِكَ أَيَّدَ اللَّهُ بِهِ يُوسُفَ– عَلَيْهِ السَّلَامُ– بَيْنَهُمْ."[(11)]

ويلمح بوضوح معنى الالتماس في صيغة الأمر (نَبِّئْنَا)، ومما يؤكد هذه الدلالة نداؤه ـ عليه السلام ـ لهما باسم الصحبة التي تخلص فيها المودة في مكان مثل هذا.[(12)]

المنارة للاستشارات

وإجمالا تُظهر الجملة الطلبية بعناصرها السابقة الحاجة الماسة والرغبة الشديدة لتأويل الرؤيتين، الأمر الذي قد يُستَغل من مفسري الرؤى للحصول على بعض المكاسب من أصحاب الرؤى (كما حدث مع رؤية الملك) ... أو إهماله إنْ تبيَّن للمفسر خلاف ذلك.

أعقب ذلك ـ وبلا واسطة أيضا ـ الجملة الاسمية المؤكدة (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) وفيها المعاني عينها التي سبق الإشارة إليها في جملتي (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) ..(إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ) و التي عبرت عن فحوى الرؤيتين. وفي وصف نبي الله بالإحسان وهي صفة جامعة وشاملة لفعل الحسنات، والإنعام على الناس، ومراقبة الله تعالى[13]ـ إغراء للمخاطَب (نبي الله يوسف عليه السلام)بالمدح والثناء رغبة في تحقيق ما هدفا إليه من تأويل رؤياهما تأويلاها صحيحا ينم عن علم وخبرة،[14]خاصة حينما عمدا إلى توظيف الضمير(نا) الذي اتصل بحرف التوكيد (إنَّ) للتعبير عن الرؤية الجمعية المؤكّدة لصفة الإحسان في شخصية نبي الله يوسف عليه السلام.لقد أدرك المرسلان ما لهذا القول من تأثير في نفسية المتلقي وإقناعه؛ بما يجعله بهذا الوصف يلين ويطيب فيستجيب لطلبهم.([15])

وقد استخدما الفعل المضارع (نرى) القلبية التي تعبر عن قناعة استقرت في نفسي الفتيين من خلال معايشتهما لنبي الله في السجن. ذلك أنه لما دخل السجن اسْتَمَالَ النَّاسَ بِحُسْنِ حَدِيثِهِ وَفَضْلِهِ وَنُبْلِهِ.([16]) رُوِيَ أن الضحاك بن مزاحم سئل عن قوله: { إِنَّا نَرَاكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ }، ما كان إحسانه؟ قال: كان إذا مَرض إنسان في السجن عَاده وقام عليه، وإذا ضاق عليه المجلس وسع له، وإذا احتاج جمع له شيئاً، وكان مع هذا يجتهد في العبادة، ويقوم الليل كله للصلاة. وقيل: إنه لما دخل السجن وجد فيه قوماً قد اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم، فجعل يُسلّيهم ويقول: أبشروا واصبروا تؤجروا، فيقولون: بارك الله فيك، يا فتى، ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك! لقد بورك لنا في جوارك، فمن أنت يا فتى؟ قال: أنا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله إسحاق بن خليل الله إبراهيم، فقال له عامل السجن: يا فتى والله لو استطعت لخلَّيْت سبيلك، ولكن سأحسن جوارك فتمكن في أيّ البيوت من السجن شئت.([17])

استثمار الحوار في الدعوة:

وجد نبي الله يوسف التربةَ مهيأةً للحوار الهادف الذي يفضي إلى قناعات تغير من معتقدات الفتيين، واستطاع أن يحول القضية المركزية في الحوار عند الفتيين من هاجس تأويل

المنارة للاستشارات

الرؤيتين، إلى صحيح العقيدة التي يجب أن يكونا عليها. وقد جعل نبي الله هذا الأمر الهدف الأول والأسمى له في هذا الحوار، قبل أن يجيبهما إلى طلبهما وهو تأويل الرؤيتين، " وَهَذِهِ طَرِيقَةٌ عَلَى كُلِّ ذِي عِلْمٍ أَنْ يَسْلُكَهَا مَعَ الْجُهَّالِ وَالْفَسَقَةِ إِذَا اسْتَفْتَاهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُقَدِّمَ الْإِرْشَادَ وَالْمَوْعِظَةَ وَالنَّصِيحَةَ أَوَّلًا، وَيَدْعُوهُ إِلَى مَا هُوَ أَوْلَى بِهِ وَأَوْجَبَهُ عَلَيْهِ مِمَّا اسْتَفْتَى فِيهِ، ثُمَّ يُفْتِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ" ([18]) ومما شجعه على ذلك عدة أمور منها: أنه لم يبدأ هو الحوار، بل دُعِي إليه، ومن ثم ففي يده مقاليد الكلام وعلى الطرف الآخر الإنصات. كما أنه طُلب منه المشاركة في الحوار بأسلوب فيه شيء من الترجي والتلطف والامتنان (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)، هذا بالإضافة إلى ما رآه عليه السلام من الحاجة الشديدة والرغبة القوية من الفتيين للتعرف على تأويل رؤياهما.

وقد لمس العلامة الطبرسي بعدًا نفسيًا يضاف إلى ما سبق، وهو أن نبي الله كره أن يخبرهما بالتأويل، لما على أحدهما فيه من البلاء؛ فأعرض عن سؤالهما وأخذ في غيره." ([19])

لكنَّ تعليل الشيخ الشعراوي في تأخير إجابة الفتيين جاء أكثر واقعيةً؛ إذ همُّ نبي الله الدعوة وتصحيح العقيدة المنحرفة: " وهو لو تكلم في المطلوب منه أولاً؛ لانصرف ذِهْن وانتباه كُلٍّ من السجينين إلى قضاء حاجتهما منه؛ ولن يلتفتا بعد ذلك إلى ما يدعو إليه؛ ولأن الذي يدعو إليه هو الأمر الأبْقى، وهو الأمر العام الذي يتعلق بكل حركة من حركات الحياة. وبذلك كان يوسف عليه السلام يؤثر السجينين؛ فقد أراد أن يلفتهما إلى الأمر الجوهري قبل أن يتحدث عن الجزئية الصغيرة التي يسألانِ فيها؛ وأراد أن يُصحِّح نظرة الاثنين إلى المنهج العام الذي يدير به الإنسان كل تفاصيل الحياة وجزئياتها؛ وفي هذا إيثار لا أثرة."([20])

وتلك براعة من نبي الله تكشف عن فن متميز في إدارة الحوار إذ استطاع أن يطور الحوار، ويغير من موضوعه دون أن ينصرف الطرف الآخر عنه أو يشعراه بالملل أو قلة الاهتمام. فبدلا من أن ينحصر موضوع الحوار في الرؤيا وتأويلها اتسع ليتناول عدة قضايا ـ كما سنرى ـ جعلته عليه السلام يمسك بزمام الحوار ويجعل الطرف الآخر متفاعلا معه في كل مراحل الخطاب حتى النهاية. ويمكن القول إن موضوع الخطاب في هذا الحوار لم يكن منفصلا عن الرؤيا وتأويلها، إذ عقيدة التوحيد هي المنجية في الآخرة لمن كان تأويل الرؤيا في حقه سلبيا، وهي كذلك منهج حياة ونجاة لمن كان تأويل الرؤيا في حقه إيجابيا.

المنارة للاستشارات

ولكن من أين يبدأ نبي الله مع الفتيين؟ وكيف يقنعهما بعقيدة التوحيد؟ هنا تظهر براعة المحاور الداعية في استثمار ما يقوله الطرف الآخر أو ما يصرح به، لقد بدأ الحوار معهما من آخر ما تلفظا به وهو قولهم (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)، فبنى عليها من المقولات ما يوصله في ختام الحوار إلى الوصول إلى ما يريد دون استطراد مخل، أو زيادة ممجوجة.

تزكية النفس بما يوجب الثقة فيما يدعوهم له:

عمد نبي الله عليه السلام إلى تقوية الثقة التي أظهرها الفتيان نحوه بقولهم (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)، وذلك بالكشف لهما عن جوانب أخرى من شخصيته تبدو خافية عليهما، يخلص بعدها إلى الإعلان عن هدفه الأسمى وهو تغيير المعتقد الفاسد.

وأول ما بدأ به نبي الله هو الكشف لهما عن شيء يعزز به من شخصيته الدعوية ويزيد من قناعتهما به، " وذلك بإظهار ما منّ الله به عليه من تعليمه ما شاء من أمور الغيب"([21])، فإذا كان تأويل الرؤى علمًا ينظر لصاحبه بالإجلال والإكبار. مع وجود معطيات أو عناصر في مشاهده تعين على التأويل ـ فكيف تكون شخصية من أوتي الإنباء بنوع الطعام قبل مجيئه لآكليه وهم في محبسهم؟! وليست لدى هذا الرجل مفردات أو مشاهد تعين على التكهن بنوع الطعام (أي طعام) على جهة العموم! وهذا ما يفيده تنكير لفظ (طعَام)، وجاء اللفظ (تُرزقانِه) مؤكدًا على ذلك، فوصول هذا الطعام بالنوعية التي سبق إخبارهم بها من قِبَل الرجل لم يكن باجتهاد منه حتى يستطيع التكهن بنوعيته، إنما هو وحي من الله عز وجل. وقد جاءت الجملة الفعلية التي تحمل هذه المعاني مؤكدة بأسلوب القصر أو الحصر بالأداتين (لَا ـ إلا) في قوله لهما: (لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا).

وقد كان نبي الله دقيقًا و حريصا ـ أثناء ذلك ـ على غرس العقيدة الصحيحة في نفوس محاوريه: إنه سريعًا يسند مصدر هذا العطاء الذي يتمتع به إلى الله وحده (ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي) ، وهنا يدفع عليه السلام عن الأذهان ـ التي لازالت بعيدة عن العقيدة الصحيحة ـ ما قد يخالطها من أفكار عن مصدر هذا المعرفة، بل ويتوسع أكثر في بيان مساحة هذه المعرفة بتوظيف حرف الجر المتصل بالاسم الموصول (مِمَّا) الذي يفيد التبعيض.

وهنا أيضا يجد نبي الله الأعناق قد أضحت مشرئبةً لما يقول؛ فيقدم لهما إضاءة أخرى يكشف بها عن بعض من جوانب شخصيته، وهي العقيدة التي يؤمن بها والتي كانت سببًا في

المنارة للاستشارات

أن يحظى بهذه المكانــة التي هو عليها، وهو ما عبَّرت عنه الجملة الاسمية المصدرة بأداة التوكيد: (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ).

وقد جاء حرف التوكيد المقترن بياء المتكلم، إيذانا بالإعلان عن موقف المفاصلة والاختيار والتقرير، وجاء الخبر فعلا قويًا مناسبًا لفكرة التخلي والمفاصلة (تَرَكْتُ) مسندًا لضمير المتكلم أيضا؛ فيوسف عليه السلام حاضر بقوة مسندًا إليه في التركيب اسما لـ (إن)، وفاعلا في جملة خبرها.([22])

ويبرز هنا تساؤل يقول: ألا تشي دلالة الفعل (تَرَكْتُ) هنا أن عقيدة هؤلاء القوم كان هو عليها يوما ما؟ أو فكّر يومًا في اعتناقها؟ أو حتى دُعي إليها فتركها؟! هنا يجيب البقاعي بقوله: "وعبر بـ { تركت } موضع "تجنبت" مثلاً مع كونه لم يلابس تلك الملة قط، تأنيساً لهما واستدراجاً إلى تركهما."([23]) إنه يعرف جيدًا ملة القوم وما يعتريها من فساد وهذا ليس حكمًا متسرعًا أو عابرًا، بل عن تجربة وطول خبرة بهم ولذا تجنبها. ويرى صاحب البحر المحيط أن في تخير هذا الفعل دون غيره اسْتِجْلَابٌ لَهُمَا لِأَنْ يَتْرُكَا تِلْكَ الْمِلَّةِ الَّتِي كَانَا فِيهَا.([24])

أما عن تنكير قوم فقد جاءت للتحقير؛ لأنهم كانوا مستمرون في الكفر، ويمكن أن تكون دالة على معنى العموم أيضا، أي: إني تركت ملة أي قوم في كل زمان ومكان لايؤمنون بالله.([25])

وعن صلة هذه الجملة بما قبلها يقول الزمخشري: "يجوز أن يكون كلامًا مبتدأ، وأن يكون تعليلاً لما قبله. أي علَّمني ذلك وأوحي إليّ؛ لأني رفضتُ ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية، وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون: أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم، وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون بالآخرة، وأنّ غيرهم كانوا قومًا مؤمنين بها، وهم الذين على ملة إبراهيم، ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيهًا على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء، ويجوز أن يكون فيه تعريض بما مُني به من جهتهم حين أودعوه السجن، بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته، وأنّ ذلك ما لا يُقدِم عليه إلا من هو شديد الكفر بالجزاء."(26)

وهنا نلحظ دقة استخدام الألفاظ في موضعها، فعندما يُسبق الفعل المضارع (يُؤمِنُونَ) بأداة النفي (لَا) فإن ذلك يعني النفي في الحال، وعلى هذا فإنه لا يأس من الدعوة إلى عقيدة

المنارة للاستشارات

التوحيد عساهم أن يؤمنوا. وهناك من النحاة من يرى أن النفي بـ (لا) يفيد الحال والاستقبال معا، وعلى هذا فإن المعني مقبول بحكم أنه نبي أوتي العلم من الله بمصائر هؤلاء القوم.(27) وأكد كفرهم بالبعث بتقديم (الآخرة) على الكفر وبتكرار الضمير (هُمْ)؛ وذلك لمزيد الاهتمام بقضية الكفر بالآخرة، وكان التأكيد على ذلك لغرابته عند أهل العقول المدركة، فالعقل يوجب الإيمان بالآخرة؛ لأن الله تعالى لم يخلق الإنسان سدى.([28])

وإذا كانت الجملة الاسمية هنا تفيد ثبوت القوم على كفرهم بالآخرة؛ فإن هذا الثبوت قد تعزز بعدد من العناصر اللغوية: أوله تكرار ضمير الفصل (هم) مرتين، وثانيهما: تقديم الجار والمجرور على عاملها(كافرون)، وثالثها عبر ضمير الفصل الذي يشكل قاسمًا مشتركا بين المبتدأ والخبر.([29])

تأصيل العقيدة التي يعتنقها نبي الله:

يواصل نبي الله حديثه عن هذه العقيدة ـ ولا تزال عقول صاحبيه منجذبة لمتابعة حديثه ـ فينتقل من إعراضه عن العقائد الباطلة إلى اتباعه للعقيدة الصحيحة ويؤصل لهذه العقيدة: (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ) وفي تخير لفظة (اتَّبَعْتُ) ما يوحى بالانقياد والخضوع التام عن قناعة، و يتضح أثرها الدلالي أكثر عندما يُنظر إليها في مقابلها الدلالي الذي حمله الفعل (تَرَكْتُ) في الآية السابقة: (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ).

وعن الدور الذي لعبته الواو في تحقيق الاتساق المعجمي بين هذه الآية وما قبلها، يقول باحث معاصر: " تكاد الآية تنقطع عن القصة إلا من الربط بأداة الوصل الإضافي الواو، والضمير المحيل على المرجع الإشاري يوسف في (واتَّبَعْتُ).وجاء الوصل بالعطف على(تَرَكْتُ) في الآية السابقة، وظهر الربط بالواو بشكل فعال حيث ارتبط نصف معنى الآية مع الآية السابقة، والوصل جمع بين نقيضين بين(تركت واتبعت) في الآيتين،وهو تضام يدخل في باب الاتساق المعجمي.([30])

ثم ينسب هذه الملة إلى أنبياء الله: إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ، وقبل هذا فأصحاب هذه الملة هم آباؤه و له الحق أن يفخر بهم، وهنا يقوّي نبي الله من بعض جوانب شخصيته (خاصة الحوارية) التي نالتْ اهتمام الجميع واستحسانهم وكان ذلك دافعًا جعل الفتيين يؤثرانه بالحوار دون غيره. يقول الزمخشري معللا ذلك: " وذَكَرَ آباءه ليريهما أنه من بيت النبوّة، بعد

المنارة للاستشارات

أن عرّفهما أنه نبيّ يوحى إليه، بما ذكر من إخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله."([31]) وعبَّر عن ذلك بصورة أكثر وضوحًا العلامة أبو السعود حين قال:" وإنما قاله عليه السلام ترغيباً لصاحبيه في الإيمان والتوحيدِ وتنفيراً لهما عما كانا عليه من الشرك والضلالِ."([32])

ثم يؤكد على نقاء هذه العقيدة وبعدها عن الشرك منذ اتباعهم لها جميعًا (هو وآبائه)، وقد تصدر الجملة ـ المنسوخة بالفعل (كان) ـ حرف النفي (ما) الذي يفيد النفي المطلق متجاوزًا حدود الزمن. وفي غاية من الروعة يستشرف العلامة الألوسي روح المعاني في تعبير نبي الله قائلا: " {مَا كَانَ } ما صح وما استقام فضلاً عن الوقوع، {لَنَا} معاشر الأنبياء لقوة نفوسنا، وقيل: أي أهل هذا البيت لوفور عناية الله تعالى بنا { أَن نُّشْرِكَ بالله من شَيْء } أي شيئاً أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي فضلاً عن الصنم الذي لا يسمع ولا يبصر ـ فمن ـ زائدة في المفعول به لتأكيد العموم."([33])

أما عن الظلال الدلالية لاستخدام المصدر المؤول (أَنْ نُشْرِكَ) دون المصدر الصريح؛ فقد ذكر أحد الباحثين المحدثين مجموعة من الأغراض منها:

1. الإخبار عن الحدث مع الدَّلالة على الزمان. ويَعني ذلك القول بواضح العبارة أنَّ المصدر المؤول، إنما كان ليُفيد ـ إلى جانب الحدَث ـ الدَّلالةَ على الزمان، وهذا ما لا يتحقق بوجود المصدر الصريح.
2. الإخبار عن الفاعل.
3. أن يُفهم منه الحدث دون عارضٍ من عوارضه المتصورة.
4. أن تدلُّ على إمكانية حدوث الفعل، دون الوجوب والاستحالة.
5. ـ تقْوِية المعنى، وتوكيد مضمونه وتثْبيته.([34])

وقد وُظف حرف الجر (مِنْ) متبوعًا بالنكرة (شيء)؛ لتقوية هذا التوكيد ونفي أيّ مظهر للشرك في هذه العقيدة. ويبيَّن الرازي في تفسيره مفاتيح الغيب " أن أصناف الشرك كثيرة، فمنهم من يعبد الأصنام، ومنهم من يعبد النار، ومنهم من يعبد الكواكب، ومنهم من يعبد العقل والنفس والطبيعة، فقوله: { مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ} رد على كل هؤلاء الطوائف والفرق، وإرشاد إلى الدين الحق، وهو أنه لا موجد إلا الله ولا خالق إلا الله ولا رازق إلا الله."([35])

المنارة للاستشارات

وإذا أخذنا هذا كله ـ في سياقه ـ وقد تقدم عليه نفي (ما كان لنا) و" مَا تَقْتَضِيهِ صِيغَةُ الْجُحُودِ مِنْ مُبَالَغَةِ انْتِفَاءِ الْوَصْفِ عَلَى الْمَوْصُوفِ"([36])؛ تأكد للمتلقي طهارة ونقاء هذه الدوحة النبوية التي ينتسب إليها هذا الرجل الأكرم من أي مظهر من مظاهر الشرك، وازدادت ثقة الفتيين فيه، واتسعت مساحة الحوار بينهما، وتُرك له قيادة دفة الحوار. روى البخاري:" حَدَّثَنِي مُحَمَّدٌ أَخْبَرَنَا عَبْدَةُ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ": سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيُّ النَّاسِ أَكْرَمُ ؟ قَالَ: " أَكْرَمُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ "، قَالُوا : لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: " فَأَكْرَمُ النَّاسِ يُوسُفُ نَبِيُّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ ، ابْنِ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنِ خَلِيلِ اللَّهِ"، قَالُوا : لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: " فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونِي؟ " قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: " فَخِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، خِيَارُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا" ([37])

ولم تخلُ الآية الكريمة من تزكية شخصية المتحدث (يوسف عليه السلام) عندما ألحق (نَا) الدالة على الجمع بحرف الجر(لـ) والتحدث بضمير الجمع في الفعل(نُشْرِكَ)، وليس في ذلك ترفع أو تعالٍ علي صاحبيه؛ فليس هذا من سمات أنبياء الله، بل كان غرض التزكية ـ فيما أرى ـ لتوظيفها في إضافة نقاط تقوية إيجابية لشخصية هذا المحاور تجعل الطرف الآخر يزداد قناعةً بشخصية المتحاوَر معه؛ ومن ثم تقوية ثقتهما فيه وزيادة قناعتهما بدعوته. وحتى لا يملا أو ينصرفا عن القضية الأهم التي يطرحها وهي فساد الملل الأخرى دون ملة التوحيد، وإن كانت بعيدة شيئا ما عن هدفهما(تأويل الرؤيا).

وبعد أن وصلت القناعة والإعجاب بشخصية نبي الله شكلا وجوهرًا وتأصيلا إلى درجة مرضي عنها، يعود سريعًا ـ حتى لا يفتتن الفتيان به ـ ليُرجع كل ما وصل إليه إلى بعض من فضل الله عليه وعلى آبائه وعلى الناس أجمعين. وقد كان تخير العناصر اللغوية: اسم الإشارة (ذلك)، وحرف الجر (مِنْ)، والمجرور النكرة (فضل) دورها في إبراز دلالات عظم النعم التي شملت شخصية هذا النبي وآبائه الكرام من قبله، وأنَّ هذا كله بعض من فضل الله اللامحدود عليهم وعلى غيرهم من الناس. وهنا يمكننا أن نلمح تعريضا قد لا يُلتف إليه، وهو أن فضل الله لا يخصهم(هو وآباءه) فقط، بل إن هذا الفضل يعم الناس جميعا، وهم لا ريب ممن شملهم هذا الفضل غير أن كثيرًا ممن ينعمون في هذا الفضل لا يشكرون المُتفضِل جلَّ وعلا. ومن أولى درجات الشكر عدم الشرك، فكان أجدر بهم أن يتخذوا موقفًا آخر مغايرًا لما

المنارة للاستشارات

عليه الكثير من قومهم. وهذه أول التفاتة دعوية ـ غير مباشرة ـ من نبي الله وجهها للفتيين، بعد أن رأي أن الأجواء أضحت مُهيَّأةً لقبول ذلك.

إشراك الفتيين في المقارنة العقلية بين العقيدة الفاسدة والعقيدة الصحيحة:

انتقل نبي الله في دعوة نقلة أخرى، كان فيها أكثر تصريحا بالدعوة إذ طَلَبَ منهما المشاركة فيما يعرضه عليهما، هنا يلقي المخاطِب بالقضية على بساط التفكير العقلاني السليم، إذ يدخل معهما في إثارة قضية الموازنة بملكاتهم التي فُطروا عليها فيما يرون من عقائد لا جامع بينها ـ سوى الانحراف والضلال ـ بين ما يدينون به من عقيدة باطلة، وبين عقيدة توحيد المعبود (الله الواحد القهار). هنا يمكن القول إن نبي الله عليه السلام يريد منهما المشاركة في قراءة وإنتاج الخطاب الإقناعي المؤثر.

لكنه قبل أن يبدأ في ذلك صدَّر دعوته تلك بأسلوب النداء (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ)، وهذا مدخل قلمَّا يجيده المتحاورون، يقول العلامة البقاعي: " قال مناديًا لهما باسم الصحبة بالأداة التي تقال عند ما له وقع عظيم في النفوس في المكان الذي تخلص فيه والمودة، وتمحض فيه النصيحة، وتصفي فيه القلوب، ويتعمد الإخلاص رجاء الخلاص."([38])

وأرى ـ والله أعلم ـ أن نبي الله عليه السلام لجأ إلى هذا الأسلوب لتحقيق عدة مرامٍ منها: جذب انتباه المخاطبين لما سيأتي نظرًا لأهميته وخطورته. و إشعار صاحبيه بالأنس بهما والقرب منهما، حيث وحدة البيئة الزمانية والمكانة، وربما وحدة سبب العقوبة (الظلم)، و إظهار حرصه على الوفاء بحق الصحبة؛ ومن ثمَّ بث روح الثقة في كل ما يصدر عنه وتهيئة النفس لقبوله. أو ربما أحسَّ منهما نوعًا من السأم، لبعده عن القضية التي نشأ الحوار من أجلها (تأويل الرؤيتين)، فأراد من ذلك تنشيط الذهن وبعث الحيوية فيه.

وقد أنزلهما منزلة البعيد على الرغم من قربهما: المكاني والزماني منه؛ ذلك إما لعلو منزلتهما ورفيع شأنهما عنده، أو لإشارة منه إلى غفلتهما وهيمانهما في أودية الضلال، فتلطف عليه السلام بهما في ردهما إلى الحق وإرشادهما إلى الهدى، والتعليلان جائزان لتعلق كل واحد منهما بالآخر؛إذ جاء بالنداء تمهيدًا منه لقبول التعبير مهماكان وقعه مؤلمًا عليهما.([39])

ونظرًا لما لأسلوب الاستفهام من دور كبير في عمليتي الحوار والإقناع واتساع مساحة الحجاج وارتفاع نسبة الإقناع فيها،([40]) خاصة إذا قام على استراتيجية الإقناع العقلي؛ صدَّر نبي الله به الآية التي تعبر عن القضية المحورية في الآيات قضية التوحيد. وقد حلل مكوناته

المنارة للاستشارات

العلامة البقاعي قائلا: " ولما فرَّغ أفهامهما بالنداء لما يلقيه، قرع أسماعهما بالإنكار مع التقرير فقال: { أَأَرْبَابٌ} أي آلهة { مُتَفَرِّقُونَ} متباينون بالذوات والحقائق تشاهدونهم محتاجين إلى المكان مع كونهم جماداً، ولو كانوا أحياء لأمكن تمانعهم، فأدى إلى إمكان عجز كل منهم القاطع بعدم صلاحيته للإلهية. { خَيْرٌ } أي أعظم في صفة المدح وأولى بالطاعة { أَمِ اللَّهُ } أي الملك الأعلى { الْوَاحِدُ } بالذات، فهو لا يحتاج إلى شيء أصلاً {الْقَهَّارُ } لكل شيء، لا يزال قهره يتكرر أبداً، فهذا برهان لا خطأ به كما ظن، وأبرزه صلى الله عليه وسلم على وجه الاستفهام استجلاباً للسامع برد العلم إليه، وسماها { أَرْبَابٌ } لمثل ذلك بناء على زعمهم، وكذا المشاركة في أفعل التفضيل، لأن ذلك أقرب إلى الإنصاف، لكونه ألين في القول، فيكون أدعى إلى القبول."([41])

ويذكر (الرازي) علة المقابلة بين طرفي الآية الكريمة بقوله: "{أَرْبَابٌ } إشارة إلى الكثرة فجعل في مقابلته كونه تعالى واحداً، وقوله: { مُتَفَرِّقُونَ } إشارة إلى كونها مختلفة في الكبر والصغر، واللون والشكل، وكل ذلك إنما حصل بسبب أن الناحت والصانع يجعله على تلك الصورة، فقوله: { مُتَّفَرِّقُونَ } إشارة إلى كونها مقهورة عاجزة وجعل في مقابلته كونه تعالى قهاراً." ([42])

لقد أَوْرَدَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى صَاحِبَيِ السِّجْنِ هَذِهِ الْحُجَّةَ الْقَاهِرَةَ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِفْهَامِ، لِأَنَّهُمَا كَانَا مِمَّنْ يَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا أَصْنَامٌ يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ أَنْ خَاطَبَهُمَا بِهَذَا الْخِطَابِ، وَلِهَذَا قَالَ لَهُمَا: مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْماءً.([43])

وقد التفت العلامة الشعراوي إلى خصيصة من خصائص السؤال في الحوار الإقناعي أو التفاوضي وهي وعي السائل بفكر من يقابله في الحوار؛ ومحصلةُ هذا الوصولُ إلى تفاهمات مشتركة حول القضية التي يحملها السؤال. إذ " لابد للسائل أن تكون لديه خبرة فنية في توجيه الأسئلة نحو غاياته دون أن يحدث رد فعل سلبي نحو المتلقي." ([44])

يقول الشعراوي:"وطرح يوسف السؤال: {ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ الله الواحد القهار}، وحين تطرح سؤالاً عبر مقابل لك، فأنت تعلم مُقدَّماً أنه يفهم أن أرباباً متفرقون ليسوا خيراً من إله واحد، وكأن يوسف قد وَثِق من أن إجابتهما لن تكون إلا بقولهم «بل عبادة إله واحد خير». وهو لم يكُنْ ليسأل إلاَّ إذا عرف أنهما سيُديرانِ كل الأجوبة؛ فلا يجدان جواباً إلا الجواب الذي أراده. فهما قد عبدا آلهة متعددة؛ وكان المفروض في مقاييس الأشياء أن تُغنِيكم تلك الآلهة

المنارة للاستشارات

عن اللجوء لمن يعبد الإله الواحد. إذن: في قُوَى البشر نجد التعدد يُثْرِي ويُضخِّم العمل، لكن في الألوهية نجد الشرك يُضعِف العمل."([45])

هكذا نجح نبي الله عليه السلام في إشراك الفتيين في المقارنة، وتوظيف استراتيجية الاستدلال العقلي بالاستفهام التقريري في الإقناع بقضية الألوهية.

تأصيل العقيدة التي عليها الطرف الآخر:

يواصل نبي الله دعوته، فكما قام بتأصيل لعقيدته:(وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ)، وأقام الدليل العقلي على فساد عقيدتهما. ألقي الحجر الأخير في مياه الفكر الراكدة فأماط اللثام عن حقيقة معبوداتهم مؤكدًا لهم أن (مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ) .

وقد وُظِف أسلوب القصر بأداتيه (ما) و(إلا) والفعل المضارع (تعبدون) والمقصور عليه (أسماء) للتعبير عن واقع ما يعبدون وضحالة تفكيرهم، إنها فقط أسماء لا تعبر عن مسميات حقيقية، وللتأكيد على فساد عقيدتهم أعقب المقصور عليه(أسماء) بصفتين: الأولي: أن ما يعبده القوم ما هي إلا مجرد أسماء من صناعتهم هم وآباؤهم (أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ)، فمما يدعو إلى العجب أن هذه الأسماء من صناعتهم هم وآبائهم... فهم قد ألغوا عقولهم وصاروا أسرى اتباعهم لآبائهم! بل إن الأدعى للعجب أنهم أنفسهم شاركوا في صناعة هذه الفرية؛ ولذا تقدم الضمير (أنتم) على المعطوف عليه (أباؤكم).

الثانية: أن الله الإله الحق ما أنزل بذلك أي حجة (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ). وقد أُكد هذا الوصف باستخدام الجملة الفعلية المنفية ذات الفعل الماضي بأداة النفي (ما)، وتوظيف حرف الجر الزائد (مِنْ) متبوعا بالنكرة (سُلْطَانٍ)، لينفي أي صفة إلهية عن هذه العقيدة الفاسدة؛ مما يؤكد فداحة جرمهم هم وآباءهم.

ويكشف الثعلبي هنا عن التماسك الدلالي في خطاب نبي الله فيقول: "فأراهما يوسف فطنته وعلمه ثمّ دعاهما إلى الإسلام، فأقبل عليهما وعلى أهل السجن وكان بين أيديهم أصناما يعبدونها فقال إلزاما للحجّة يا صاحِبَيِ السِّجْنِ جعلهما صاحبي السجن لكونهما فيه كقوله تعالى لسكّان الجنّة أَصْحابُ الْجَنَّةِ، ولسكّان النار: أَصْحابَ النَّارِ. وإنّما قال ما تَعْبُدُونَ وقد ابتدأ الكلام بخطاب الاثنين لأنّه قصد به جميع من هو على مثل حالهما من الشرك."([46])

المنارة للاستشارات

وعن علة الانتقال من خطاب الاثنين إلى خطاب الجمع يقول الطبرسي: " ابتدأ بخطاب اثنين، ثم خاطب بلفظ الجمع؛ لأنه قصد جميع من هو في مثل حالهما، وقيل إنه خطاب لجميع من في الحبس."([47])

التوحيد هو الدين القيم الذي أمر الله به:

ومن التوكيد الذي صاحب الحجج العقلية لإثبات فساد عقائد القوم، إلى التوكيد لإثبات صحة ونقاء العقيدة التي يعتنقها ويدعو إليها نبي الله عليه السلام. فهو قد عمل على محاولة تفريغ العقل من العقيدة الفاسدة وتنظيفه وتهيئته لغرس وترسيخ العقيدة الصحيحة، يُفهم ذلك من توجيه التراكيب القرآنية التالية: إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ، أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ.

وأول ما يلاحظ أن التركيب الأول جاء مؤكدًا بأسلوب الحصر أو القصر بالأداتين (إِنِ) النافية بمعنى: ما ([48])، و(إِلَّا)الاستثنائية. ثم جاء التركيب الثاني مُصدَّرا بالفعل الماضي الذي يفيد البت والإلزام (أَمَرَ) وجاء المفعول به مصدرًا مؤولا مؤكدًا بأسلوب القصر بالأداتين (لا) (إلا). ثم يزيد القضية توكيدًا و تثبيتًا وإلزامًا بالنتيجة التي حملتها الجملة الاسمية (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) .

إذن فلا مخرج لهم بعد كل هذه الحجج يجعلهم مُصرين على ما هم عليه من العقيدة الفاسدة. ولنا أن نتأمل الصياغة المحكمة التي تجلت في البنية اللغوية لقول نبي الله (ذَلِكَ الدينُ الْقَيِّمُ)، وما يحيطها من ظلال دلالية. إذ صُدرت الجملة الاسمية باسم الإشارة (ذا) ملحقا بلام البعد التي تفيد بعد المكانة وعظم هذا الدين، ثم جاءت كاف الخطاب تنبيها واستحضارًا. والإشارة هنا عائدة على المسبوق (أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ) الأمر بعبادته وحده، تلاه الخبر (الدينُ).

وللنحاة رؤيتهم في مجيء الخبر معرفةً يُبَيِّنُها عالم العربية عبد القاهر الجرجاني قائلاً: "اعلم أنك إذا قلت " زيد منطلق " كان كلامك مع مَن لا يعلم أنَّ انطلاقًا كان، لا مِن زيد ولا مِن عمرو، فأنت تفيده ذلك ابتداءً. وإذا قلت " زيد المنطلق " كان كلامك مع من عرف أن انطلاقًا كان، إما من زيد وإما من عمرو، فأنت تعلمه أنه كان من زيد دون غيره. والنكتة أنك تثبت في الأول " زيد منطلق " فعلاً لم يعلم السامع مِن أصله أنه كان. وتثبت في الثاني " زيد المنطلق." فعلاً قد علم السامع أنه كان، ولكنه لم يعلمه "لزيد " فأفدته ذلك.[49]

المنارة للاستشارات

وعليه فإن هذين العنصريين اللغويين في هذا التركيب يدلان على أن الدين فقط إنما هو التوحيد. ولم يقف الأمر عند إثبات هذه القضية بل أَلْحَقَ بالخبر وصفا له وهو (الْقَيِّمُ)؛ فأكد أن التوحيد هو الدين لا غيره، بل وهو الدين القيِّمَ. والقيم هنا كما قال الراغب الأصفهاني، الثابتَّ المقوم لأمور حياة الناس ومعاشهم.([50]) وكذلك هو المستقيم الذي لا عوج فيه فيأتيه الخلل من جهة عوجه، الظاهر أمره لمن كان له قلب.([51])

ثم يعقب بعد كل هذا بالتركيب التالي: (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ويلاحظ أن التركيب هنا تصدَّره الحرف الناسخ (لكنَّ) لتستدرك الإيجاب السابق عليها بنفي يليها، يقول الزمخشري عن لكنَّ: "هي للاستدراك لتوسطها بين كلامين متغايرين نفيًا وإيجابًا، فتستدرك بها النفي بالإيجاب والإيجاب بالنفي." [(52)] ويرى ابن عصفور أنها تفيد معنى التوكيد، وتعطي مع ذلك معنى الاستدراك.([53]) وقد فسر ابن هشام معنى الاستدراك بقوله:" أن تنسب لما بعدها حكما مخالفًا لما قبلها؛ ولذلك لابد أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها، وفسَّر الاستدراك أيضا برفع ما يتوهم ثبوته."([54])

إن من البدهي أن هذه الحُجج والقناعات لا يجهلها أحد بل تلزم الجميع، غير أن نبي الله يستدرك على هذا بأن الكثيرين من هؤلاء لا يعلمون، وهذا مبرر لعرض دعوته عليهما بالبراهين والأدلة العقلية. وعليه فإن أمر التوحيد أصبح واضحًا وجليًا وملزمًا للفتيين، فقد انتفت عنهما حجة الجهل. وهذا درس للعلماء والدعاة؛ فتبعة البيان ومحو الجهل المانع للناس من التفكر والعلم هي مسؤوليتهم، وهذا ما اضطلع به نبي الله، وهذا مما علمه الله.

تأويل رؤيا الفتيين:

بعد أن انتهي نبي الله من تبليغ دعوته، أجاب الفتيين إلى طلبهما، وبذلك يكون قد وفّى بما تُوُسِّم فيه "ليزيدهما ثقة في قوله كله وتعلقًا به".([55]) وقد استأنف حديثه بجذب انتباههم لما سوف يُبيَّنَهُ لأهميته بالنسبة لهما. وقد صدَّر نبي الله عليه السلام بيانه للمرة الثانية بالتركيب الإنشائي (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ) قائلا: " أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ." وهنا نلحظ ما يلي:

1ـ الاستخدام المكثف للغة، المعبرة عن المعاني بظلالها المختلفة.

المنارة للاستشارات

إذ عبر عن نجاة الساقي من العقوبة، وعودته لوظيفته الأولى، بل وقُرْبِهِ من الملك بقوله (يَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا)، " وقد أجرى على مالكه صفة الرب؛ لأنه عبده فأضافه إليه، كما يقال رب الدار ورب الضيعة."([56])

ويلاحظ دقة استخدام المضارع (يَسْقِي) بما يحمل من استمرارية في الحاضر والمستقبل. كما أن مفردات التأويل هنا لا تتعارض مع مفردات الرؤية (أَعْصِرُ خَمْرًا) بل تتطابق، فهي من ذات الحقل الدلالي (أعصر/ يَسْقِي/ خَمْرًا) مما يجعل هذا التأويل مقبولا من صاحب الرؤية؛ وهذا يزيد من ثقتهم في نبي الله عليه السلام وفي دعوته.

وجاء تعبير الرؤية الثانية هو أن الفتي سـ(يُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ)، إنه سيحكم عليه بالموت صلبًا، وسيُترك مدة لتأتي الطير تأكل منه، وبهذا يكون ذلك عبرة للناس، و لا ريب أن التعبير عن هذا الحدث في قالب الفعل المضارع هو من أعطى له هذه الدلالة. ولا تعارض هنا بين مفردات الرؤية والتأويل كما جاء مع رؤية الفتى الأول.

وهنا يمكن القول إن عناصر الصورة الكلية في التأويل والرؤية التي رسمتها أيُ الذكر الحكيم متطابقتين عند الفتيين، كما أن مفرداتهما الذي شكلت الصورتين لا تعارض بينهما إذ هما من حقل دلالي واحد. كما أننا نلحظ أن عناصر الصورة الكلية ومفرداتها في الرؤية والتأويل تنتمي إلى حقل الواقعية، وليس الخيال، و من طبيعية الحياة التي كان الفتيان يعيشانها.

2ـ عدم تعيين الفتيين: الناجي، والهالك في التأويل.

يعلل الشوكاني لذلك بقوله :"وإنما أبهمه لكونه مفهومًا أو لكراهة التصريح للخباز بأنه الذي سيصلب."([57]) وقال صاحب الظلال: " ولم يعين من هو صاحب البشرى ومن هو صاحب المصير السيئ تلطفاً وتحرجاً من المواجهة بالشر والسوء."([58])

وأرى ـ إضافة إلى ما سبق ـ أنه لا حاجة لتعيين مَن الناجي ومَن الهالك، فالأمر لا يكتنفه الغموض، فضلا على أن السياق يفهم منه مَن صاحب الرؤية الناجي، ومَن صاحب الرؤية الهالك.

3ـ الحسم في تأويل الرؤيتين.

وعبر عنه قوله تعالي حكاية عن نبي الله عليه السلام: (قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ)، وفي ذلك إعلان بإغلاق باب الحوار حول الرؤيا وتأويلها.

المنارة للاستشارات

وقد كان التأويل مفاجئًا وصادمً، فرغم ثقتهما في علم يوسف وتأكدهما من صدقه إلا أن هذا التأويل المفاجئ لم يكن مقبولا، ولذا قيل إن الفتيين: " جحدا وقالا: ما رأينا شيئاً، على ما روي أنهما تحالما له، فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما."([59])

وما عليهما بعد ذلك إلا النظر إلى المستقبل فعلى كل منهما التدبر والتفكر فيما سيفعلان بعد هذا التأويل؟ خاصة بعد إقامة الحجج بفساد عقيدتهما، ووجوب الدخول في دين التوحيد للنجاة مما هو أهم من حياتها التي هي لا محالة إلى زوال.

وقد حققت أداة الشرط والضمائر والاسم الموصول نوعًا من التماسك النصي في هذه الآية، فأما ما ورد من الشرط فوصل سببي وأما الربط بالفاء فوصل إضافي، وهي روابط جُملية نصية، نحو ما ورد في قوله تعالى" أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا" ، و " وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ " وفي الاسم الموصول والضمير المتصل في " الَّذِي فِيه "إحالة نصية؛ لأنهما يشيران إلى الأمر المستفتى عنه وقد ذكر في جمل النص السابقة .وهذه الآية تعود بالمتلقين أصحاب السجن من عالم الفكر الواسع في قضية الإيمان والكفر إلى قضية الفتيين خصوصا.([60])

وبعد فتلك بعض أسرار التعبير التي حفلت بها بعض آيات الذكر الحكيم في حوار نبي الله يوسف مع صاحبيه في السجن، والتي تنطق بالإعجاز اللغوي والبلاغي لهذا النص الشريف، وليس هذا هو القول الفصل في مظان الإعجاز في الآيات، فلا تزال آيات النص القرآني ثرية بكثير من النكات التي تثير شهية الباحثين لاستكناه أسرارها، وسبر أغوارها.

الخاتـمة:

توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. كانت للظروف النفسية والاجتماعية والسياسية المحيطة (بيئة السجن) ـ دورها في إنتاج الحوار بمفرداته وتراكيبه، ودوافعه، ونتائجه.
2. عبَّرت المفردات التي انتظمت في حوار نبي الله مع صاحبيه عن أهداف محددة في كل مرحلة من مراحل الحوار، وذلك لما تتشح به هذه المفردات من معان ودلالات.
3. انتظمت في مراحل الحوار المختلفة بعض الأساليب الإنشائية، هَدَفَ من خلالها المحاور إلى العديد من المعاني والاستنتاجات التي تصب في مراميه الاستراتيجية إثرَ مشاركته في الحوار.

المنارة للاستشارات

4. انتظمت في جمل الحوار بعض الظواهر اللغوية التي استعان بها طرفا الحوار في نقل وجهة نظره للطرف الآخر، وإقناعه والتأثير فيه ومن هذه الظواهر: التقديم والتأخير، والتعريف والتنكير.
5. كشف الحوار عن وعي كل طرف من أطراف الحوار بمعالم شخصية الآخر، ومن ثمَّ فقد استثمر كل طرف المعلومات التي توفرت لديه عن الآخر في صياغة خطابه الموجه لهذا الآخر.

الهوامـش

(1) انظر: د. أحمد نوفل: سورة يوسف دراسة تحليلية، دار الفرقان، عمَّان، ط1(1409هـ . 1989م).

(2) انظر: أحمد مزواغي: أساليب الإقناع في سورة يوسف دراسة لسانية تداولية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران(2011ـ2012م).

(3) انظر: محمود سليمان الهواوشه: أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة(2008م).

(4) انظر: علاء الدين الغرايبة: الجملة الطلبية في" سورة يوسف" دراسة تركيبية دلالية،في مجلة: دراسات،العلوم الإنسانية والاجتماعية،المجلّد 41،العدد 1 (2014م).

(5) انظر: خلود إبراهيم العموش، ضمير الفصل في العربية ودوره في أداء المعنى، سورة يوسف نموذجًا، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، (رجب 1431هـ ـ تموز 2010م) المجلد 6، العدد 3.

(6)ابن كثير (الإمام الحافظ عماد الدين أبو الفداءاسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت 774هـ)، قصص الأنبياء، تحقيق: د. عبد الحي الفرماوي، القاهرة، ط5 (1997/1417)، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة ،ص 293 وما بعدها.

(7) يراجع في ذلك: عبد القاهر الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ت 474 هـ) دلائل الإعجاز ، تعليق: محمد محمود شاكر، ص99 وما بعدها.

(8) انظر: البقاعي (برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، ت. 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت(1415هـ – 1995)، ص 38.

المنارة للاستشارات

(9) جمال رفيق يوسف الحاج علي: النظم القرآني في سورة يوسف، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين(1421. 2000) ص46.

(10) الراغب الأصفهاني (أبي القاسم الحسين بن محمد، ت 502ه): المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، القاهرة(د ت) 1 /39.

(11) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس (1984 ه) 12/ 269.

(12) جمال رفيق يوسف الحاج علي: النظم القرآني في سورة يوسف، ص92.

(13) انظر في معنى الإحسان: سعد بن محمد آل عبد اللطيف: التعريفات الاعتقادية ، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط 2(1423ه ـ2011م) ص21.ود. حسن محمد شبالة: الإحسان مفهومة وأنواعه وصوره في ضوء الكتاب والسنة، في:
http://olamaa-yemen.net/main/articles.aspx?selected_article_no=13233

(14) الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، ت 450ه): النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت (د. ت.) 3/ 37.

(15) أحمد مزواغي: أساليب الإقناع في سورة يوسف ـ دراسة لسانية تداولية، ص152.

(16) أبو حيان(أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ت 745ه): البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت. 6/ 275.

(17)البغوي(أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي. ت 516): معالم التنزيل، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر و عثمان جمعة ضميرية و سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض (1411ه) ج4، ص241

(18) أبو حيان: البحر المحيط في التفسير، 6/ 276.

(19) الطبرسي (أمين الإسلام أبي على الفضل بن الحسن بن الفضل، ت 548ه): مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العلوم، بيروت،ط1(1427ـ 2006) 311/5.

(20) محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي الخواطر، مطابع أخباراليوم، القاهرة(د.ت.) 6956/11ـ 6957.

المنارة للاستشارات

(21) أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط1(1365 هـ - 1946 م) 12/ 146.

(22) خلود إبراهيم العموش: ضمير الفصل في العربية ودوره في أداء المعنى، ص 15.

(23) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ص 40.

(24) أبو حيان: البحر المحيط في التفسير 6/ 277.

(25) جمال رفيق يوسف الحاج علي: النظم القرآني في سورة يوسف، ص46.

(26) الزمخشري: (جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت 538هـ)، الكشاف ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض،مكتبة العبيكان، ج 3، ص:284 ـ 285. وانظر: البيضاوي (ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، ت 685هـ): أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 (1418 هـ) 3/ 164.

(27) ينظر في ذلك: سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر.ت180): الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت (د.ت) 117/3. و المرادي (الحسن بن قاسم ت749): الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ط 2 (1403هـ ـ 1983م) ص296. و الزجاجي (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ت 340): حروف المعاني، تحقيق: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1 (1984م) ، ص8.

(28) محمد أبو زهرة : زهرة التفاسير، دار الفكر العربي (د.ت.) 7/ 3824.

(29) خلود إبراهيم العموش، ضمير الفصل في العربية ودوره في أداء المعنى، ص 17.

(30) محمود سليمان حسين الهواوشه: أثر عناصر الاتساق في تماسك النص دراسة نصية من خلال سورة يوسف، ص147.

(31) الزمخشري: الكشاف، 285/3.

(32)أبو السعود (أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. ت 982هـ): إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،دار إحياء التراث العربي، بيروت، 4/ 277.

المنارة للاستشارات

(33) الألوسي (أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي ت 1270هـ) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تصحيح وتعليق: السيد محمود شكري الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت.) ، ج 12،ص 242.

(34) د. طه محمد الجندي: المصدر المؤول، بحث في التركيب والدلالة، دار الثقافة العربية، القاهرة (1999م) ، ص 70 وما بعدها.

(35) الفخر الرازي: (أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، ت 606هـ): مفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ط1(1401هـ/1981م) 18/ 141.

(36)الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، 12/ 273.

(37)البخاري(الإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ت 256هـ): صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق /بيروت، ط1 (1423هـ /2002م) ص 1160.

(38)البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 41/4.

(39) علاء الدين الغرايبة: الجملة الطلبية في" سورة يوسف" دراسة تركيبية دلالية، ص405.

(40) أحمد مزواغي: أساليب الإقناع في سورة يوسف دراسة لسانية تداولية، ص153.

(41) البقاعي : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 4، ص42.

(42) الرازي: مفاتيح الغيب، ص 143.

(43) الشوكاني (محمد بن علي بن محمد الشوكاني ت1250)، فتح القدير، تحقيق: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت ط4(1427هـ/2007م)3/ 33.

(44) د. حسن محمد وجيه: مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت(ربيع الآخر 1415هـ ـ أكتوبر 1994م) ص 194.

(45) محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي، 6955/11.

(46)الثعلبي(أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، ت 427هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1 (1422 هـ – 2002 م) 5/ 224.

(47) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، 312/5.

المنارة للاستشارات

(48) انظر: المرادي (الحسن بن قاسم المرادي ت 749): الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 2 (1403/ 1983)، ص 209،210.

(49) عبد القاهر الجرجاني(أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني. ت471هـ): دلائل الإعجاز، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط3 (1413هـ/ 1992م) ص125.

(50) الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص 539.

(51) انظر: البغوي: معالم التنزيل، ص 243. و البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ص 42.

(52) الزمخشري: المفصل في صنعة الإعراب، قدم له وبوبه: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1 (1993) ص300.

(53) انظر: ابن عصفور (علي بن مؤمن ت 669): المقرب، تحقيق أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الحبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط1 (1391هـ/ 1971م)، 106/1.

(54) ابن هشام: (محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري. ت 761): مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط5 (1979) 475/1

(55) سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط32(1423هـ ـ 2003م) مجلد 4، ص1992.

(56) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن،313/5.

(57) الشوكاني: فتح القدير، ص679.

(58) سيد قطب: في ظلال القرآن، ص 1992.

(59) الزمخشري: الكشاف، ص 284.

(60) محمود سليمان حسين الهواوشه: أثر عناصر الاتساق في تماسك النص، ص149.

المنارة للاستشارات